طرق الاستدلال في القرآن الكريم

إعــداد الأستاذة الدكتورة

ســـهير يـــس قـــنديـــل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

Email: Sohairyaseen.19@azhar.edu.eg

الملخص:

طرق الاستدلال في القرآن الكريم

إعداد الدكتورة / سهير يس قنديل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

أن علم الجدل علم أصيل في العربية.

وأن الجدل إما أن يكون محمودا، وحينئذ يدعو إليه الشرع ويرتضيه، واما أن يكون مذموما فيرفضه الشرع ولا يرتضيه.

وأن الجدل المقبول هو القائم على الدليل والبرهان.

وأن الجدل ليكون مثمر بناء لا بد أن يقوم على الموضوعية والتوافق بين الطرفين في البحث عن الحقيقة والتسلم لها عند ظهورها، وأن تتوافر فيه شروط الأدب بين الطرفين.

وأن الجدل في كتاب الله تعالى له صور متعددة ونماذج متباينة، فأحيانا يأتي بين أفراد، وأحيانا يأتي بين جماعات، وأخرى بين شخص ونبي، أو بين جمع ونبي.

وأن الجدل القرآني هو أعلى درجات البيان، وأعذبها أسلوبا، وأحسنها دعوة واصحلاحا، فهو كلام رب العالمين وكفى.

الكلمات المفتاحية : الطرق – الاستدلال – الجدل – الدليل – البرهان.

Email: Sohairyaseen.19@azhar.edu.eg

Summary:

Methods of inference in the Koran

Dr. Suhair Yassin Kandil

Professor of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Alexandria

The science of controversy is an authentic science in Arabic.

And that the controversy is either praise, and then calls him Shara and consented to him, or he is vilified Vfarh Shara not accept it.

The argument accepted is evidence-based.

The debate to be productive constructive must be based on objectivity and consensus between the parties in the search for the truth and accept it when it emerges, and that meets the conditions of literature between the parties.

The controversy in the book of God has multiple images and different models, sometimes comes between individuals, and sometimes comes between groups, and another between a person and a prophet, or between the collection and the Prophet.

And that the Koranic controversy is the highest degree of the statement, and tormented style, and the best call and reform, it is the words of the Lord of the Worlds and enough.

Keywords: methods - reasoning - controversy - evidence - proof.

Email: Sohairyaseen.19@azhar.edu.eg

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الناظر في طريقة القرآن الكريم في الاستدلال يرى أن الاستدلال القرآني قائم بذاته، فالأدلة البرهانية يقينية، والأدلة الخطابية تمتاز بالإثارة والإقناع، وطريقة العرض تمتاز بالبيان الراقي، الذي لا يطاوله بيان، وهو معجز لكل الناس، عربهم وعجمهم.

ومع ذلك فهو يخاطب الناس جميعا، في أجيال مختلفة، وأقوام تباينت مشاربهم، واختلفت طبائعهم، وتنازعت أهواؤهم، وتعددت مسالكهم في طلب الحق، على النحو التالي:

(١) منهم من لا يصدق بالبرهان، ولا يرضيه إلا قياس تام، أو ما يجري مجراه، وهؤلاء هم من غلبت عليهم الدراسات العقلية، والنزعات الفلسفية، وهؤلاء قلة من الناس. يقول صاحب المنار: (إن الخواص يعالجون بموازين البراهين)[١].

(٢) ومنهم من اشتغل بالمهن والحرف الأخرى، وهم كثير، لذلك أمر الله – تعالى– نبيه –صلى الله عليه وسلم– بأن يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال الحسن؛ كي يستطيع تقبل ذلك. يقول الله تعالى: [ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ][٢]

(٣)أما الجمهور الأعظم من الناس فليسو هؤلاء ولا أولئك، بل هو تفكيره أقرب إلى الفطرة، فيه سلامتها، وسذاجتها، وفيه إخلاصها،

(١) تفسير المنار، ج: ١، ص: ١٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥

وبراءتها، فهو لا يخاطب بتفكير الفلاسفة، ولا يخاطب بما يخاطب به المتفكرون تفكرا علميا إليه دون التوغل في التفكير، فبالنسبة للوحدانية ينتفع بما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: [لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا](١) ، وقوله: [قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا](٢) ، وقوله: [مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ](٣)

وبالنسبة لصدق الرسول (صلى الله عليه وسلم) يستدل عليه بقوله تعالى: [قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا](٤) ، وبقوله: [فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ](٥)، وقوله: [فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ](٦)

وبالنسبة لليوم الآخر يستدل عليه بقوله تعالى: [قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ](٧) ، وقوله: [أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ](٨) .

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأعرابي جاءه، فقال له: (علمني من غرائب العلم، فعلم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه ليس أهلا لذلك،

(١) سورة: الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٢) سورة: الإسراء، الآية: ٤٢.
(٣) سورة: المؤمنون، الآية: ٤٢.
(٤) سورة: الإسراء، الآية: ٨٨.
(٥) سرة: البقرة، الآية: ٢٣.
(٦) سورة: هود، الآية: ١٣.
(٧) سورة: يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩.
(٨) سورة: القيامة، الآيات: ٣٦ – ٤٠.

فقال له: (وماذا علمت في رأس العلم؟. أي: الإيمان والتقوى والاستعداد للآخرة، اذهب، فأحكم رأس العلم، ثم ارجع لأعلمك غرائبه)(١).

وقد جمع الله تعالى هذه الأصناف في قوله تعالى: [ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ](٢)

فبالنسبة للصنف الأول: الدعوة بالموعظة، وبالنسبة لأهل البصيرة: بالحكمة، وبالنسبة لأهل الشغب: بالمجادلة الحسنة.

وهنا يقول الإمام أبو زهرة: (إنما يخاطب الجمهور الأعظم بالحق، وبما يغذي الفطرة، وبما يثيرها، ويوجهها إلى السبيل الأقوم. والقرآن الكريم نزل بتلك الشريعة الأبدية التي جاءت للكافة، وبعث بها النبي –صلى الله عليه وسلم– للناس جميعا، بشيرا أو نذيرا)(٣).

لذلك جاء القرآن الكريم بالأدلة والبراهين التي تقنع الناس جميعا، على اختلاف أصنافهم، وتباين أفهامهم، وتفاوت مداركهم وعقولهم، فهؤلاء يخاطبون بما يفكرون فيه تفكيرا سهلا جليا، ولا يمعنون في التفكير، ولا يوغلون غاية الإيغال في البحث.

من ذلك الدليل على معرفة الخالق سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: [قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ](٤)

وقوله:، [أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ

(١) الترمذي
(٢) سورة: النحل، الآية: ١٢٥.
(٣) المعجزة الكبرى: الإمام أبو زهرة، ص: ٣٧٠.
(٤) سورة: يونس، الآية: ٣١.

ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ][1] ، وكقوله: [فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا][2] ، وقوله: [أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا][3]

ومثل ذلك الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي يفهم منها العامة ما يحتاجون.

وبقوله تعالى: [يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ]إلى قوله: [فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ]

والأمثلة في ذلك كثيرة في كتاب الله تعالى، فلا ينبغي أن يزاد عليها كما قدمنا.

لذلك قد سلم العصر الأول من الصحابة -رضوان الله عليهم- من المحاجة والمجادلة، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الكرام ما سلكوا في المحاجة مسلك المتكلمين في تقسيماتهم وتفحيصهم وتمحيصهم بهذا التدقيق.

لا لعجز منهم، ولكن لقلة الحاجة إليه، فالبدع إنما جاءت بعدهم، فعظمت حاجة المتأخرين إلى علم الكلام؛ ليعالجوا مرضى الزمان.

فلم يكن منهم إلا محاجة مع اليهود والنصارى في إثبات نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) واثبات الألوهية والبعث مع منكريه، ما زادوا في هذه العقائد على أدلة القرآن الكريم، فمن أقنعه ذلك قبلوه، ومن أعرض ولم يقتنع قتلوه.

---

(١) سورة: ق، الآيات: ٦ – ١٠.

(٢) سورة: عبس، الآيات: ٢٤ – ٣١.

(٣) سورة: النبأ، الآيات: ٦ – ١٦.

فما ركبوا ظهر اللجاجة في وضع المقاييس العقلية، وترتيب المقدمات، وتحرير طريق المجادلة، وتذليل طرقها ومنهاجها؛ لعلمهم بأن ذلك مثار الفتن، ومنبع التشويش، ومن لا ينقعه أدلة القرآن لا يقمعه إلا السيف والسنان، فما بعد بيان الله بيان[1].

والآن أبدأ طرق الاستدلال على النحو التالي:

(١) تفسير المنار، ج: ١، ص: ٢٢٧.

المبحث الأول
الاستدلال بالتعريف

من أنواع الاستدلال في القرآن الكريم الاستدلال بالتعريف، وهو: أن يؤخذ من ماهية موضوع القول دليل الدعوى.

كأن يؤخذ –مثلا– من حقيقة الأصنام دليلا على أنها لا تصلح أن تكون معبودا.

ومن بيان صفات الله –تعالى– دليلا على أن يكون وحده المستحق للعبادة. والآيات في ذلك كثيرة، أذكر منها:

قوله تعالى: [إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ ٱلَّذِى أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ](١)

من هذا الكلام الشريف إثبات لوحدانيته سبحانه وتعالى، وكان طريق الإثبات هو بيان مخلوقاته، وتنوعها، وأنه وحده الخالق لكل شيء، وكان التعريف بالله تعالى هو السبيل لإثبات الربوبية له سبحانه، قد عرف سبحانه وتعالى بصفاته وأثره في الوجود؛ لأن معرفة حقيقة ذاته غير ممكنة في هذه الدنيا(٢).

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ](٣)

ومن التعريف –أيضا- معرفة حكمة التعريف؛ حتى يلزم الأمر القاطع بالتحريم، كما في قوله تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ](٤)

(١) سورة: الأنعام، الآيات: ٩٤ – ١٠٠.
(٢) المعجزة الكبرى: الإمام محمد أبو زهرة، ص: ٣٤٧ – ٣٤٨.
(٣) سورة: المؤمنون، الآيتان: ١٢، ١٣.
(٤) سورة: المائدة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

يقول ابن عباس: أي سخط من عمل الشيطان، وقال زيد بن أسلم مثل ذلك، ويقول سعيد بن جبير: إثم(١).

(١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج: ٢، ص: ٩٢.

المبحث الثاني

الاستدلال بالتجزئة

وهي أن تذكر أجزاء الموضوع، ويتبعها إثبات الدعوى، وذلك من المقررات الثابتة بالبديهة: أن الأثر يدل على المؤثر، وأن الكون يدل على خالقه.

مثال ذلك قوله تعالى: [قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ](١)

فهذه الأدلة كثيرة، كل واحد منها يصلح أن يكون دليلا مستقلا بذاته، يدل على أن الله تعالى هو القائم على هذا الكون، وهو المدبر له سبحانه، وهو سبحانه وتعالى المنفرد بالخلق في هذا الكون، لذلك قرن السياق عقب كل دليل بقوله تعالى: [ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ] أي: ينتفى أن يكون معه غيره سبحانه وتعالى.

(١) سورة: النمل، الآيات: ٥٩ – ٦٤.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: [وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ](١)

(١) سورة: الأنبياء، الآيات: ٢٩ – ٤٣.

المبحث الثالث

التعميم ثم التخصيص

وهو أن تذكر قضية عامة تثبت الدعوى في إجمالها، ثم يتعرض المستدل إلى جزئيات القضية، فيبرهن على أن كل جزء منها يؤدي إلى إثبات الدعوى أيضا، أو أنها في مجموعها تؤدي إلى إثبات الدعوى المرادة.

من ذلك ما ذكر بين موسى عليه السلام وفرعون: [قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ](١)

(١) سورة: طه، الآيات: ٤٩ – ٥٥

المبحث الرابع

العلة والمعلول

وهذا نوع آخر من أنواع الاستدلال، وهو أن يكون وجود بعض الأشياء علة لوجود الآخر، وهما متلازمان من الناحية العقلية، فإذا ذكر المعلول كان كاشفا لعلته؛ لأن ذكر النتائج مع إحدى المقدمتين للدليل يدل على المقدمة الثانية، ولأن المقدمات تطوى فيها، وبمقدار قوة الارتباط فيها تكون قوة الاستدلال، فإذا ذكر تحريم الخمر مثلا، وحاول العقل أن يعرف سبب التحريم، وهو وصف لا يشاركه فيه غيره، وفي القرآن الكريم كثير من ذلك، منه قوله تعالى: [وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ](١)

وكما في قوله تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ](٢)

(١) سورة: البقرة، الآيات: ١٩٠ – ١٩٢.

(٢) سورة: المائدة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

المبحث الخامس

المقابلة

وصفة المقابلة: أن تكون بين شيئين، أو أمرين، أو شخصين؛ ليعرف أيهما المؤثر في عمل معين، فإذا ثبت أن التأثير لواحد منهما كان له فضل التقدم على غيره، وقد كان ذلك النوع من ينابيع الاستدلال كثيرا في القرآن الكريم؛ لأن المشركين كانوا يعبدون أحجارا يصنعونها، أو مخلوقات لله تعالى خلقها، وكانوا يعتقدون أن لها تأثيرا في الإيجاد، أو في الشر يمنع، أو الخير يجلب، فكانت المقابلة بين الذات العلية وبين ما ابتدعوا من عبادة الأوثان ينبوعا للاستدلال على بطلان ما زعموا(١).

ومنه قوله تعالى: [أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ](٢)

ففي هذا النص الكريم مقابلة بين المعبود بحق، وهو الله سبحانه وتعالى خالق السموات، وهم يؤمنون بأن الله وحده خالق السموات والأرض.

يقول الله تعالى: [وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ](٣)

(١) المعجزة الكبرى للقرآن، ص: ٣٥٤.
(٢) سورة: النحل، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٣) سورة: لقمان، الآية: ٢٥.

يقول الإمام الشوكاني: أي يعترفون بالله خالق ذلك؛ لوضوح الأمر فيه عندهم، وهذا اعتراف منهم بما يدل على التوحيد وبطلان الشرك، ولهذا قال: ((قل الحمد لله)) على اعترافكم، فكيف تعبدون غيره، وتجعلون شريكا له(١).

ومن ذلك أيضا: قوله تعالى: [قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (٢)]

فالمقابلة –هنا– لتبين من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ومن هو القهار القادر على كل شيء وهو الواحد الأحد الذي لا يشبهه أحد، والمقابلة بين الأعمى والبصير، وبين الظلمة والنور الذي يشرق به القلب، ومن يخلف ومن لا يخلف.

فهذا المقابلات تسفر عن الحكم الفاصل في هذه القضايا المطروحة.

والاستفهام للتقريع والتوبيخ، أي: كيف يكونان متسويين وبينهما من التفاوت ما بين المتناقضين، كالأعمى والبصير، والظلمات(٣) والنور.(٤)

(١) تفسير فتح القدير، ج: ٤، ص: ٢٤٢.
(٢) سورة: الرعد، الآية:١٦.
(٣) جمع الظلمات ووحد النور؛ لأن طريق الحق واحد، وطرائق الباطل كثيرة. [فتح القدير للشوكاني، ج: ٣، ص: ٧٤.]
(٤) فتح القدير، ج: ٣، ص: ٧٤.

ومنه قوله تعالى: [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ][1]

فهذه المقابلة بين الإنشاء والإعادة، وبين الخلق من غير أصل سابق والإعادة؛ ينتهي به ذو العقل الرشيد إلى الحكم بأن البعث ممكن في ذاته، وأنه واجب الاعتقاد[2].

ومنه أيضا قوله تعالى: [نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الْخَٰلِقُونَ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّٰرِعُونَ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ أَفَرَءَيْتُمُ الْمَآءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِـُٔونَ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ][3]

(١) سورة: الأحقاف، الآيتان: ٣٣، ٣٤.
(٢) المعجزة الكبرى للقرآن، ص: ٣٥٦.
(٣) سورة: الواقعة، الآيات: ٥٧ – ٧٤.

فهذه المقابلات الكريمة بين أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، وأنه عالم بما خلق، فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فإذا سلمت بهذه المقابلات [فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ].

المبحث السادس

الاستدلال بالتشبيه والأمثال

والمتدبر لآيات القرآن الكريم يرى من طرق الاستدلال القرآني: الاستدلال بالتشبيه والاستدلال

ومنه :

تشبيه الغائب غير المحسوس بالقريب المحسوس وبالحاضر على الغائب؛ تقريبا للأذهان، وتوضيحا للحقائق، وتجلية للبصائر، مصورا أحوال العباد أوقع تصوير وأحسنه، وهو إلحاق أمر بأمر لجامع بينهما(١). فيأخذ بالحس البشري إلى المعايشة مع هذه الأمثلة والقصص الواقعي الذي يقنع العقل، ويرهف الحس، ويؤثر في الوجدان، فيدرك –لا محالة– صدق هذه الحقائق، ويتبصر بها، ويؤمن بها، خصوصا بعدما يظهر له حال المكذبين المغترين وما آلوا إليه، وما ينتظرهم في الآخرة من العذاب الأبدي.

فيلمس العقل البشري والشعور النفسي من خلال هذا التصوير الواقعي الدعوة إلى الحق، فيسلم لها لا محالة، ويلزم جانب المؤمنين الموحدين لرضا رب العالمين.

(١) المعجزة الكبرى للقرآن، ص: ٣٧٢.

وكتاب الله –عز وجل– يحتوي على الكثير والعديد من هذه الأمثال والتشبيهات، لذلك فإني أذكر –على سبيل المثال– قوله تعالى: [إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ][1]

أي: يقول الكفار: ماذا أراد الله بهذا مثلا، ومعنى كلامهم هذا الإنكار بلفظ الاستفهام: يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا.

يقول القرطبي: (هو من قول الكفارين، أي: ما مراد الله بهذا المثل الذي يفرق به الناس إلى ضلالة والى هدى. وقيل: بل هو خبر عن الله عز وجل، وهو أشبه، يقرون بالهدى أنه من عنده، فالمعنى: قل يضل الله به كثيرا، ويهدي به كثيرا، أي: يوفق ويخذل، أي: يخذل به كثيرا من الناس مجازاة لكفرهم)[2].

ففي هذا النص يثبت الله –تعالى– أنه يقرب الحقائق الثابتة بالأمثال، ويأتي بالدليل من بيان الأشياء، واستخراج خواصها، والإثبات بالأدلة عن طريقها، وأن الناس في تلقي هذه الأدلة فريقان[3].

(١) سورة: البقرة، الآية: ٢٦
(٢) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج: ١، ص: ٢٠٩ – ٢١٠.
(٣) المعجزة الكبرى للقرآن، ص: ٣٥٨.

وهذا ما أسلفت فيه القول، فريق أخذ بها، واستنار قلبه، واتبع الهدى، وفريق كابر، وعاند، وركب لجاج الضلال، فأضله الله بمجازاته. يقول تعالى: [وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ]

فهذا دليل على أن السياق القرآني يتخذ من الأمثال تبيينا للحقائق، وتثبيتا مصحوبا بالدليل والبرهان.

ويحذر القرآن الكريم من الافتتان بالدنيا. يقول تعالى: [وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا](١)

ومنه –أيضا– قوله تعالى: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ](٢)

انظر إلى هذا النداء الحكيم، إنه نداء بمثابة إبلاغ للناس بالدليل القاطع على بطلان الشرك والوثنية؛ ليقرع أسماعهم بالحقائق عن طريق ضرب الأمثال لتقريب هذه الحقيقة.

(١) سورة: الكهف، الآية: ٤٥.
(٢) سورة: الحج، الآيتان: ٧٣ – ٧٤.

أي: أن هؤلاء الشركاء لا يستطيعون خلق أي شيء صغير، ذبابا أو ما شابه في الضعف والضآلة التي يستحقرونها، ولو أن الذباب سلب منهم شيئا لو اجتمعوا مع أوثانهم على أن يستردوه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا؛ لكمال عجزهم وضعفهم.

واذا عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف، وعن استنقاذ ما أخذه منهم، فهم عن غيره مما هو أكبر منه جرما وأشد قوة أعجز وأضعف ((ضعف الطالب والمطلوب)) فالصنم كالطالب، من حيث إنه يطلب خلق الذباب ويطلب استنقاذ ما سلبه منه، والمطلوب الذباب(١).

وكذلك يأتي هذا التصوير بأبهى صورة مشفوعا بالدليل على إثبات حقيقتين:

الحقيقة الأولى: بطر الإنسان وغروره بأن هذا الوضع القائم سيظل ولا يزول أبدا؛ لاعتقاده أنه المهيمن على الحاضر والمستقبل، فيخيب أمله، وينقطع رجاؤه.

الحقيقة الثانية: هي إثبات أن الولاية ودوام الملك لله سبحانه وتعالى، وهو وحده العالم بحاضر الأمور ومستقبلها.

فنلشاهد هذه القصة الواقعية التي تبطل غرور الإنسان، وتضعه في وضعه المناسب له، وتذكره بحقيقته.

(١) تفسير فتح القدير، ج: ٣، ص: ٤٧٠.

يقول تعالى: [وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا](١)

هذا، والمتدبر في هذا المثل القرآني يرى التحذير والتخويف من العاقبة الأليمة للكثير من أغنياء المسلمين، وان لم تنطق بنحو هذا ألسنتهم، فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به، منادية عليهم(٢).

(١) سورة: الكهف، الآيات: ٣٢ – ٤٤.
(٢) انظر: تفسير الكشاف، ج: ٢، ص: ٣٩٠.

ومنه قوله تعالى: [إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ](١)

فهذا مثل آخر، وتصوير حقيقي له مغزى كبير في النفس المسلمة؛ إذ يحمل في طياته إثبات عبادة من العبادات، وفريضة من فرائض الإسلام، ووجوب تنفيذها مما قد يغفل الكثير عن مثل ذلك، ويعدوه هينا وهو عند الله عظيم، ألا وهي الزكاة.

فالزكاة تطهر المال، وتحميه من الفساد والزوال، يقول تعالى: [خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا](٢)

ومنه قوله تعالى: [ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ](٣)

فهذان المثلان يبطلان عقيدة الشرك.

(١) سورة: القلم، الآيات: ١٧ – ٢٣.
(٢) سورة: التوبة، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة: النحل، الآيات: ٧٥ - ٧٦

فكل مثل من هذين المثلين دليل على بطلان الشرك والوثنية. عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: (هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن، فالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء مثل الكافر، والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سرا وجهرا هو المؤمن). وقال ابن نجيح عن مجاهد: (هو مثل مضروب للوثن والحق تعالى، فهل يستوي هذا وهذا؟

ولما كان الفرق بينهما ظاهرا واضحا بينا لا يجهله إلا كل غبي؛ قال الله تعالى: [ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ]

ومن ذلك –أيضا– قوله تعالى: [ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ][1]

فهذا المثل القرآني سيق لبيان حال من هو تابع لرب واحد، أم من هو تابع لأرباب متفرقون، أي: عدة، هل من يتلقى أوامره من رب واحد، أم من أرباب مختلفون فيتنازع عليه الأرباب، وهو –لا محالة– ضائع بكل المقاييس بين الأهواء، فالجواب –إذن– معلوم.

فضرب الله –تعالى– لهم مثلا من واقعهم الذي يتعايشون فيه؛ تقريبا للأذهان، حتى يسلم العقل بهذه القضية الواقعية، وهذا التشبيه المشاهد فلم يبق له بديهة إلا التسليم بالوجود الحقيقي، وهو وجود الله، ووجوب العبودية لإله واحد فقط.

(١) سورة: الزمر، الآية: ٢٩.

ومن تشبيه المعقول بالمحسوس: قوله تعالى: [مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ](١)

فهنا تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم، وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة، هو نسيج العنكبوت(٢).

ومنه قوله تعالى: [مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ](٣)

ومنه قوله تعالى: [مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ](٤)

لأن حملهم التوراة ليس كالحمل على العاتق، إنما المراد القيام بما فيها(٥).

وغرض التشبيه أو التمثيل هنا: هو ذم اليهود بتلك الحال، وتقبيح أمرهم(٦).

(١) سورة: العنكبوت، الآية: ٤١.
(٢) تفسير الكشاف للزمخشري، ج: ٣، ص: ١٩١، بيروت.
(٣) سورة: إبراهيم، الآية: ١٨.
(٤) سورة: الجمعة، الآية: ٥
(٥) البرهان، الزركشي، ج: ٣، ص: ٤٢٠.
(٦) التعبير الفني في القرآن الكريم: بكري شيخ أمين، ص: ٢٣٢.

وكذلك يصور القرآن الكريم حقيقة البعث بعد الموت بدليل واقعي، حيث يقول تعالى: [أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ](١)

فهذه قصة واقعية، أطرافها حقيقيون، وهي مصحوبة -أيضا- بالدليل الواقعي على الإعادة بعد الموت، أي: البعث والنشور، وأن الله وحده هو القادر على هذه الإعادة، كما حدث في هذا المثل القرآني.

هذا، ومما سبق نستنتج:

أولا: أن الأمثال والتشبيهات القرآنية، والقصص الواقعي، والحقائق الثابتة؛ نوع من أنواع الجدل المصحوبة بالأدلة المقنعة للمخاطب، وفي هذا إرشاد للداعية أن يسير على هذا النهج إذا أعيته طرق الإقناع، فإن القصة والتمثيل والتشبيه من الوسائل الممتعة التي تقبل عليها النفس، وتهتدي بها؛ كي يقنع الخصم بهذه القضية، فينتقل الداعية -من خلال ذلك- إلى القضية المعهودة والمراد إبلاغها، والتسليم لها بكل يسر وسهولة.

(١) سورة: البقرة، الآية: ٢٥٩.

ثانيا: أن كتاب الله –تعالى– أحسن حديث وأصدقه، وخير زاد في المعاد، فيقول تعالى: [ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ][1]

ويقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– واصفا كتاب الله تعالى: (أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أصدق الحديث وأبلغه).

(١) سورة: الزمر، الآية: ٢٣.

المبحث السابع

الالتفات

ومن ذلك –أيضا– الالتفات من التكلم إلى الخطاب، ومن التكلم إلى الغيبة، ومن الخطاب إلى التكلم، ومن الغيبة إلى الخطاب.

وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر؛ تطرية واستدارجا للسامع، وتجديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه.

كقول الشاعر:

لا يصلح النفس إن كانت مصرفة إلا التنقل من حال إلى حال(١)

١- **من التكلم إلى الخطاب،** كقوله تعالى: [وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ](٢)

والأصل: واليه أرجع، فالتفت من التكلم إلى الخطاب.

وفائدته: أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه، وهو يريد نصح قومه؛ تلطفا واعلاما، أنه يريده لنفسه، ثم التفت إليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله.

(١) البرهان للزركشي، ج: ٣، ص: ٣١٤.
(٢) سورة: يس، الآية: ٢٢.

وأيضا فإن قومه لما أنكروا عليه عبادته لله أخرج الكلام معهم بحسب حالهم، فاحتج عليهم بأنه يقبح منه أنه لا يعبد فاطره ومبدعه، ثم حذرهم بقوله: ((واليه ترجعون))[1]

٢- **من التكلم إلى الغيبة**، كقوله تعالى: [قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا][2] إلى قوله: [فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ]

ولم يقل: بي.

يقول الزركشي: وله فائدتان، إحداهما: دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها، والثاني: تثبيتهم على استحقاقه الاتباع؛ بما اتصف به من الصفات المذكورة، من: النبوة، والأمية، التي هي أكبر دليل على صدقه، وأنه لا يستحق الاتباع لذاته، بل لهذه الخصائص[3].

٣- **من الخطاب إلى التكلم**، مثل قوله تعالى: [قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ][4]

على أنه –سبحانه– نزل نفسه منزلة المخاطب.

(١) البرهان للزركشي، ج: ٣، ص: ٣١٤.
(٢) سورة: الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٣) البرهان، ج: ٣، ص: ٣١٧.
(٤) سورة: يونس، الآية: ٢١.

٤- **من الخطاب إلى الغيبة**، مثل قوله تعالى: [حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ](١)

فالخطاب أولا كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم، بدليل قوله تعالى: [هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ](٢)

فلو قال: (وجرين بكم) للزم الذم الجميع، فالتفت عن الأول إلى الاختصاص بهؤلاء الذين من شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية: [فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ](٣)

٥- **من الغيبة إلى الخطاب**، كقوله تعالى:[وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا](٤)

هذا للدلالة على أن من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخا عليه منكرا عليه قوله، كأنه يخاطب به قوما حاضرين(٥) .

(١) سورة: يونس، الآية: ٢٢.
(٢) سورة: يونس، الآية: ٢٢.
(٣) سورة: يونس، الآية: ٢٣.
(٤) سورة: مريم، الآيتان: ٨٨ – ٨٩.
(٥) البرهان، ج: ٣، ص: ٣٢٣.

المبحث الثامن

الاستدلال عن طريق القصص القرآني

فقد يساق الدليل في قصة فتعرض القصة، ومن ضمنها الأدلة على بطلان ما يعتقد المشركون وغيرهم، وقد يكون موضوع القصة رسولا يعرفونه.

إذ يدعي المجادلون أنه يحاكونه، ويتبعونه، فيجيء الدليل على لسانه، فيكون ذلك أكثر اجتذابا لأفهامهم، وأقوى تأثيرا، وقد يكون مفحما ملزما إن كانوا يجادلون غير طالبين للحق.

فالقصة القرآنية ليست عملا فنيا مقصودا لذاته، وانما هي وسيلة للإرشاد والإيمان والعظة، وشرح الأوامر والنواهي الشرعية، ونشر فكر الحق والخير والتعاون بين الناس، وكانت القصة إحدى وسائل القرآن إلى غايته(١).

مثال ذلك: قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وقصته مع قومه، ففي القصتين نرى أن أدلة التوحيد واضحة قوية، تثبت بطلان عبادة الأوثان، ولسيدنا إبراهيم عليه السلام مكانة خاصة عند العرب من بين المرسلين، حتى إنهم يتبارون في الانتساب إليه.

وقد كانوا يزعمون أنهم على ملته، فإذا جاءهم الخبر بتوحيده ومحاربته للأوثان، وسيق لهم ما كان يجنح به على قومه؛ كان ذلك مؤثرا أي تأثير في قلوبهم.

(١) التعبير الفني في القرآن: د. بكري شيخ أمين، الطبعة: الرابعة، دار الشروق، ص: ٢١٨.

ومجيء الدليل على لسان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقر بفضله المخالفون، كإبراهيم عليه السلام عند العرب، وموسى عند بني إسرائيل، يعطي الدليل على قوة فوق قوته الذاتية.

إذ تكون الحجة قد أقيمت عليهم من جهتين: من جهة قوة الدليل الذاتية، ومن جهة أن الذي قاله رسول أمين يعرفونه، فيكون هذا قوة إضافية، وفوق ذلك فيه إلزام وافحام؛ إذ إنهم يدعون أنهم أتباعه.

ويظهر ذلك واضحا جليا في قوله تعالى: [مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ](١)

وقد يجيء الدليل أحيانا في قصص القرآن على لسان حيوان في قصة، فيكون ذلك غرابة تسترعي الذهن، وتثير الانتباه، وتملأ النفس إيمانا بالحقيقة، كما جاء على لسان الهدهد في سورة النمل، إذ يقول سبحانه وتعالى حاكيا عن سيدنا سليمان عليه السلام:

[وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ

(١) سورة: آل عمران، الآية: ٦٧.

ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩][1]

ففي هذه الآيات الكريمة يأتي دليل التوحيد على لسان الهدهد في أوجز عبارة، وأوضح بيان، فيبين أن عبادة الشمس من دون الله بعد عن الفطرة الإنسانية، والأصل أن تصرف العبادة بالكلية إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا من إلهام الله لهذا الطير كغيره من الطيور وسائر الحيوانات.

وهنا يقول الزمخشري: (تنبيها على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما)[2].

(١) سورة: النمل، الآيات: ٢٠ – ٢٦.

(٢) تفسير الكشاف، ج: ٣، ص: ١٣٩.

المبحث التاسع

إخراج الكلام مخرج الشك في اللفظ دون الحقيقة لضرب من المسامحة وحسم العناد

ومن ذلك قوله تعالى: [وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ](١)

وهو يعلم أنه على الهدى، وأنهم على الضلال، لكنه أخرج الكلام مخرج الشك؛ تقاضيا، ومسامحة، ولا شك عنده ولا ارتياب.

ومنه قوله تعالى: [قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ](٢)

وقوله: [فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ](٣)

أورده على طريق الاستفهام.

والمعنى: هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس، وتأمرتم عليهم، لما تبين لكم من المشاهد، ولاح منكم في المخايل [أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ] تهالكا على الدنيا.

(١) سورة: سبأ، الآية: ٢٤.
(٢) سورة: الزخرف، الآية: ٨١.
(٣) سورة: محمد، الآية: ٢٢.

وانما أورد الكلام في الآية على طريق سوق غير المعلوم سياق غيره؛ ليؤديهم التأمل في التوقع عمن يتصف بذلك إلى ما يجب أن يكون مسببا عنه من أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم، فيلزمهم به على ألطف وجه إبقاء عليهم من أن يفاجئهم به، وتأليفا لقلوبهم، ولذلك التفت عن الخطاب إلى الغيبة.

وقد يخرج الواجب في صورة الممكن، كقوله تعالى: [وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا](١)

وقوله: [فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ](٢)

وقوله: [عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡ](٣)

وقوله: [وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ](٤)

وقد يخرج الإطلاق في صورة التقييد، كقوله تعالى: [حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ](٥)

(١) سورة: الإسراء، الآية: ٧٩.
(٢) سورة: المائدة، الآية: ٥٢.
(٣) الإسراء: الآية: ٨.
(٤) سورة: البقرة، الآية: ٢١٦.
(٥) سورة : الأعراف، الآية: ٤٠.

ومنه قوله تعالى حاكيا عن شعيب: [وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا][1]

فالمعنى: لا يكون أبدا، من حيث علقه بمشيئة الله لما كان معلوما أنه يشاؤه؛ إذ يستحيل ذلك على الأنبياء، وكل أمر قد علق بما لا يكون فقد نفى كونه أبعد الوجوه.

وقال قطرب: في الكلام تقديم وتأخير، والاستثناء من الكفار لا من شعيب.

والمعنى: لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن تعودوا في ملتهم. ثم قال تعالى حاكيا عن شعيب: [وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ] على كل حال.

وقيل: الهاء عائدة إلى القرية لا إلى الله[2].

(١) سورة: :الأعراف، الآية ٨٩.

(٢) البرهان للزركشي، ج: ٣، ص: ٤١٠، دار المعرفة.

المبحث العاشر

السبر والتقسيم

والسبر والتقسيم باب من أبواب الاستدلال الكاشف للحقيقة، الهادي إليها، وهو –أيضا– من أبواب الجدل، يتخذه المجادل سبيلا لإبطال دعوى من يجادله، بأن يذكر أقسام الموضوع الذي يجادل فيه، ويبين أنه ليس في أحد هذه الأقسام خاصة تسوغ قبول الدعوى فيه، فيبطل دعوى الخصم(١).

وقد ذكر السيوطي أن أمثلته في القرآن الكريم:

قوله تعالى: [ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ](٢)

نزلت هاتان الآيتان في مالك ابن عوف وأصحابه، حيث قالوا: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا. فنبه الله –عز وجل–

(١) المعجزة الكبرى للقرآن، ص: ٣٨٧.

(٢) سورة: الأنعام، الآيتان: ١٤٣ – ١٤٤.

المؤمنين بهذه الآية على ما أحل لهم؛ لئلا يكنوا بمنزلة من حرم ما أحله الله تعالى.

ويقول القرطبي: وقولهم: ((ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا)) فدلت على إثبات المناظرة في العلم؛ لأن الله –تعالى– أمر نبيه –عليه السلام– بأن يناظرهم، ويبين لهم فساد رأيهم، وفيها إثبات القول بالنظر والقياس، وفيها دليل بأن القياس إذا ورد عليه النص بطل القول به(١).

يقول السيوطي: إن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة، واناثها أخرى؛ رد الله –تعالى– عليهم بطريق السبر والتقسيم، فقال: إن الخلق لله تعالى، خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى، فمم جاء تحريم ما ذكرتم؟

ثم بين السيوطي أن التحريم لا بد وأن يكون من الله تعالى بقوله: (وهو التعبدي بأن أخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى إما بوحي، أو إرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله تعالى: [أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ]

فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها:

الأول: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراما.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج: ٣، ص: ٢٥٤٩، ط: الشعب.
(٢) سورة: الأنعام، آية: ١٤٤.

الثاني: يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراما.

الثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معا.

فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة؛ لأن العلة – على ما ذكر– تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه، وبواسطة رسول كذلك؛ لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم.

واذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى، وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال(١).

(١) الإتقان للسيوطي، ج: ٢، ص: ١٣٦ – ١٣٧.

المبحث الحادي عشر
الاستدلال عن طريق الاستنتاج

وهنا يقول السيوطي: فإن الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا: أن من أول سورة الحج إلى قوله تعالى: [وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ] خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات:

١- قوله تعالى: [ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ]

لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه –تعالى– أخبر بزلزلة الساعة معظما لها، وذلك مقطوع بصحته؛ لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته، منقول إلينا بالتواتر، فهو حق، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق، فالله هو الحق.

٢- أخبر –تعالى– بأنه يحيي الموتى.

لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأحوال التي يقلبها الله من أجلهم، وقد ثبت أنه قادر على كل شيء، ومن الأشياء إحياء الموتى، فهو يحيي الموتى.

٣- وأخبر –تعالى– [أنه عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ]

لأنه أخبر انه من يتبع الشياطين، ومن يجادل فيه بغير علم؛ يذقه عذاب السعير، ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير، فهو على كل شيء قدير.

٤- وأخبر تعالى [أَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا]

لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب إلى قوله: لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ، وضرب –لذلك– مثلا بالأرض الهامدة، التي ينزل عليها الماء فتهتز، وتربو، وتنبت من كل زوج بهيج، ومن خلق الإنسان على ما أخبر به فأوجده بالخلق، ثم أعدمه بالموت، ثم يعيده بالبعث، وأوجد الأرض بعد العدم، فأحياها بالخلق، ثم أماتها بالمحل(١) ، ثم بالخصب، وصدق خبره في ذلك كله.

٥- وأخبر تعالى وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ

بدلالة الواقع المشاهد على المتوقع الغائب، حتى انقلب الخبر عيانا، صدق خبره في الإتيان بالساعة، ولا يأتي بالساعة إلا من يبعث من في القبور؛ لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة، فهي آتية لا ريب فيها، وهو –سبحانه– يبعث من في القبور(٢) .

وهذه النتائج الكريمة مجموعة في قوله تعالى:

[ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ](٣)

(١) المحل: هو المطر. [الإتقان، ص: ١٣٦]

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج: ٢، ص: ١٣٥ – ١٣٦.

(٣) سورة: الحج، الآيتان: ٦ – ٧.

المبحث الثاني عشر

القياس

والقياس: هو المتشابه بين أمرين، وعلى ذلك تأخذ القضية الثانية حكم القضية الأولى، والفقهاء يسلكون هذا المسلك في قضاياهم، وكذلك المناطقة، ويسمونه تمثيلا؛ لأنه تمثيل حالة بحالة.

من ذلك قوله تعالى: [إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ](١)

هذا خطاب لمن يدعون ألوهية عيسى عليه السلام.

والمعنى: إذا كنتم تدعون ألوهية عيسى عليه السلام لأنه ولد بدون أب، فهذا آدم عليه السلام خلق بدون أب ولا أم، ولا أحد يقول بألوهيته، فقياسا على ذلك لا يصلح أن يكون عيسى عليه السلام إلها.

ومن القياس أيضا: ما ذكر صاحب الإتقان بقوله:

استدل –سبحانه وتعالى– على المعاد الجسماني بضروب:

أحدها: قياس الإعادة على الابتداء

كما قال تعالى: [أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ](٢)

(١) سورة: آل عمران، الآيتان: ٥٩ – ٦٠.

(٢) سورة: ق، الآية: ١٥.

ثانيها: قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى.

قال تعالى: [أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم](١)

ثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات.

رابعها: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر.

يقول السيوطي: وقد روي أن أبي بن خلف جاء بعظم ففتتة، فقال: أيحيي الله هذا بعد ما بلي ورم؟ فأنزل الله [قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ] فاستدل –سبحانه وتعالى– برد النشأة الأخرى إلى الأولى، والجمع بينهما لعلة الحدوث، ثم زاد في الحجاج بقوله [ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا] ، وهذه في غاية البيان في رد الشيء إلى نظيره(٢) .

ومن القياس أيضا: قياس الخلف

وهو إثبات الأمر ببطلان نقيضه؛ وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان، ولا يخلو المحل من أحدهما، كالمقابلة بين العدم والوجود، ونفي أمر معين في مكان وزمان معين واثباته في هذه الحال.

فدليل الخلف: أن يبطل النقيض فيثبت الحق.

(١) سرة: يس، الآية: ٨١.
(٢) الإتقان، ج: ٢، ص: ١٣٦، ط: نهر النيل.

وأن القرآن الكريم يتجه في استدلاله إلى إبطال ما عليه المشركون، فيبطل عبادة الأوثان، فيثبت التوحيد.

ومن ذلك قوله تعالى: [لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ](١)

فالاستدلال القرآني في هذه الآية الكريم اتجه إلى إثبات الوحدانية بقياس الخلف.

أي: لو كان في السموات والأرض إله غير الله لتنازعت الإرادتان بين سلب وايجاب، وهذا التنازع يؤدي إلى الإفساد رغم صلاحية كل، ولكن اختلاف الإرادتين يؤدي إلى الإفساد لا محالة، لذلك امتنع الشركاء لامتناع الفساد، فثبتت الوحدانية.

ومن ذلك أيضا: قوله تعالى: [مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ](٢)

فمن أجل هذا الاختلاف يثبت النقيض، وهو الوحدانية.

ومنه قوله تعالى: [قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا](٣)

(١) سورة : الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٢) سورة: المؤمنون، الآية: ٩١.
(٣) سورة: الإسراء، الآية: ٤٢.

لذلك يقول في المنزل، وهو القرآن: [أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا](١)

الاستدلال بالموجب:

والاستدلال بالموجب من طرق الاستدلال أيضا.

يقول السيوطي: قال ابن أبي الإصبع: وحقيقة رد سلام الخصم من فحوى كلامه.

وقال غيره: هو قسمان:

أحدهما: أن تقع صفة في كلام العزيز كناية عن شيء أثبت له حكم، فتثبتها لغير ذلك الشيء، كقوله تعالى: [يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ](٢)

ف (الأعز) وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، و(الأذل) عن فريق المؤمنين، وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فأثبت الله –في الرد عليهم– صفة العزة لغير فريقهم، وهو الله ورسوله والمؤمنون.

فكأنه قيل: صحيح ذلك: ليخرجن الأعز منها الأذل، لكن هم الأذل المخرج، والله ورسوله والمؤمنون الأعز المخرج.

(١) سورة: النساء، الآية: ٨٢.

(٢) سورة: المنافقون، الآية: ٨.

والثاني: حمل لفظ وقع من كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله الذكر.

التسليم:

هو أن يفرض المحال، إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع؛ ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه(١).

كقوله تعالى: [مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ](٢)

الإسجال:

وهو الإتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به، نحو قوله تعالى: [رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ](٣)

فإن في ذلك إسجالا بالإيتاء والإدخال، حيث وصفا بالوعد من الله الذي لا يخلف وعده.

(١) الإتقان، ج: ٢، ص: ١٣٧.
(٢) سورة : المؤمنون، الآية: ٩١.
(٣) سورة: غافر، الآية: ٨.

الانتقال:

وهو أن ينتقل المستدل إلى الاستدلال غير الذي كان آخذا فيه؛ لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول، كما جاء في مناظرة الخليل والجبار، لما قال له: [رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ]، فقال: [أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ] إلى أن جاء بالحديث عن الشمس.

المناقضة:

وهي تعليق أمر مستحيل على مستحيل؛ إشارة إلى وقوعه، كقوله تعالى: [إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ](١)

مجازاة الخصم:

وهو بأن يسلم بعض مقدماته حيث يراد تبكيته والزامه.

كقوله تعالى: [قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ](٢)

(١) سورة: الأعراف، الآية: ٤٠.
(٢) سورة: إبراهيم، الآيتان: ١٠ – ١١.

فقولهم: (إن نحن إلا بشر مثلكم) فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم، وليس مرادا، بل هو مجازاة الخصم ليعثر، فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشرا حق لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي في أن يمن الله علينا بالرسالة(١).

(١) الإتقان، ج: ٢، ص: ١٣٧.

الخاتمة

وتحتوي على أهم النتائج التي أسفر عنها البحث على النحو التالي:

أولا: أن علم الجدل علم أصيل في العربية.

ثانيا: أن الجدل إما أن يكون محمودا، وحينئذ يدعو إليه الشرع ويرتضيه، واما أن يكون مذموما فيرفضه الشرع ولا يرتضيه.

ثالثا: أن الجدل المقبول هو القائم على الدليل والبرهان.

رابعا: أن الجدل ليكون مثمر بناء لا بد أن يقوم على الموضوعية والتوافق بين الطرفين في البحث عن الحقيقة والتسلم لها عند ظهورها، وأن تتوافر فيه شروط الأدب بين الطرفين.

خامسا: أن الجدل في كتاب الله تعالى له صور متعددة ونماذج متباينة، فأحيانا يأتي بين أفراد، وأحيانا يأتي بين جماعات، وأخرى بين شخص ونبي، أو بين جمع ونبي.

سادسا: أن الجدل القرآني هو أعلى درجات البيان، وأعذبها أسلوبا، وأحسنها دعوة واصحلاحا، فهو كلام رب العالمين وكفى.

والله – سبحانه وتعالى– هو الهادي إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.